العرب
الجمعة 2021/04/02
السنة 43 العدد 12018

فنانة لبنانية تجعل من الضوء حليفا للحقيقة الناصعة

فتاة بحمد تشكّل من الحدائق الداخلية سردية مبهجة لوطن جريح

قدّمت الفنانة التشكيلية اللبنانية فتاة بحمد لوحات مشغولة بالألوان الزيتية في معرضها الأخير بالعاصمة السورية دمشق، لتستمر بعد ذلك في نشر أعمال جديدة لها على صفحتها الفيسبوكية لا تخرج من منطق تصوير الحدائق ولاسيما الداخلية، بل تكرّسها حالة فنية يصعب تخيّل نتاج الفنانة من دونها.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

أقام المركز الوطني السوري للفنون البصرية معرضا للفنانة التشكيلية اللبنانية فتاة بحمد غير أنها لم تستطع السفر إلى سوريا بسبب إجراءات الحجر الصحي في عزّ أزمة انتشار وباء كورونا.

وقد قدّمها رئيس مجلس إدارة المركز الوطني غياث الأخرس بهذه الكلمات "أنوّه بتجربة فتاة بحمد التشكيلية وما تحمله من تقنية زيتية جريئة تميّزها رعشة ريشتها عند لمس القماش.. فهم الفنانة العميق وتفاعلها مع الطبيعة شفيفان وشاعريان، حيث إنها تتحاور معها بتناغم وانسجام ونسيج لوني مدهش، فتتحوّل معجونة المادة الزيتية لديها إلى طاقة حياتية تسعد المتلقي بنتاجها".

هدوء غرائبي

تكاد الكلمات المُرحبة والمذكورة آنفا أن تنطبق على معظم الأعمال الفنية التي يقدّمها الفنانون الانطباعيون العرب الذين جعلوا من تصوير الطبيعة بفصولها اهتمامهم الوحيد، أو على الأقل الأحب إلى قلوبهم.

رغم ذلك، فما يميّز أعمال الفنانة اللبنانية هو أن ألوانها ليست "مُتفجّرة" كما في العديد من لوحات الانطباعيين، وذلك بالرغم من استخدامها في أحيان كثيرة ألوانا عالية النبرة وشديدة الاحتدام. وعندما يحدث أن تستخدم الفنانة لونا واحدا طاغيا تصبح لوحاتها شبيهة بما قدّمه الفنان الفرنسي الملوّن الوحشي بيار بونارد، وليس بما أنجزه الانطباعيون الآخرون كالفرنسي كلود مونيه.

أما اللوحات الأقل أهمية عند الفنانة، ربما هي تلك التجريدية التي تحضر فيها أجواء الطبيعة، فتصبح شبيهة بلوحات آخرين، وليس بالضرورة أفضل ممّا قدّموه.

ثمة هدوء غرائبي في لوحات فتاة بحمد حتى تلك الأكثر اشتعالا من حيث الألوان المُستخدمة. وهذه الأجواء الغرائبية التي ربما تستقي نفوذها من كونها مُحمّلة بسكينة باتت نادرة جدا هذه الأيام، متأتية من كون الفنانة لا ترسم إلّا "الحدائق الداخلية" حتى وإن شكّلت في بعض لوحاتها مشاهد غالبا ما تكون مفتوحة تأخذنا عبرها إلى قريتها الجنوبية الغنّاء.

أما حدائقها الداخلية فليست كحدائق الانطباعيين، حيث إنها وشبه حصري، يتباهى الضوء بتدرجاته متواطئا مع تبدل الألوان والظلال واختلاف الفصول الأربعة، فيستعرض قدراته بإعادة تشكيل رؤيتنا للموجودات حينما يتبدل وإن بشكل طفيف.

تتميّز حدائق الفنانة اللبنانية بقدرتها على بث الطمأنينة في نفس مُشاهدها، فهي حدائق داخلية بكل ما تعني الكلمة من معنى مُباشر ومجازي، وتكمن تحت رعاية تامة من قبل الفنانة التي اختارت ببراعة أزهارها ونباتاتها (واقعيا وفنيا) كي تصمد بقلب الغُرف حتى الأكثر ضيقا أو عتمة.

وتقول الفنانة خلال حديث حول أحد أهم معارضها "أعيش في ضيعة جنوبية، واللوحات المعروضة اليوم كلها من مكان واحد، في بيتي وجنينة (حديقة) البيت، في مكان صنعته كله تقريبا بيديّ".

ولعل أكثر اللوحات التي تبثّ هذا النوع من الطمأنينة الهائلة التي تدفئ القلب وتُسكن الألم الوجودي وتذكّر بحضن الأم العطوف، هي تلك التي يظهر فيها كرسي مُريح أو مقعد قماشه مزهوّ ببراعم الأزهار والورود المُتفتّحة، كرسي أو مقعد إلى جانب طاولة عليها كأس أو فنجان قهوة مُحاط بالنباتات النضرة والأزهار.

حميمية الغرف

هذا النوع من اللوحات كثير عند الفنانة، ورغم ذلك لا تشبه أي لوحة منها الأخرى، فلا يقدر الملل أن يتسلّل إلى عين المُشاهد ويحرمه من متعة التأمّل في لوحاتها والغوص في أجواء قد تذكّر الكثير منّا ببيت طفولته حين كان اللون حليفا للحقيقة الناصعة، وحين كان الضوء جسرا سماويا نحو مستقبل ليس فيه أية مُنغصات أو شرور.

ثمة ميزة أخرى تتّصف بها أعمال بحمد الفنية، وهي أنها بالرغم من تجسيدها أحيانا كثيرة لغرف صغيرة وحميمية، إلّا أنها مفتوحة أو مُطلة على الخارج الذي لا يتعارض معها، بل يظهر وكأنه امتداد لها وللسكينة التي تبثّها.

حدائق الفنانة اللبنانية ليست معزولة عن العالم الخارجي ولا يجب أن تكون بالضرورة في أحد البيوت الجبلية. فالحيوية التي تتمتّع بها تأخذنا إلى أجواء المدينة ومن ثم العودة منها بعد تعب النهار، لنجلس على مقعد من مقاعد لوحاتها نرتشف فنجانا من القهوة الطيّبة.

وفي كونها يُمكن كذلك وبكل سهولة اعتبار لوحاتها تلك تحفيزا ودعوة صريحة لاستعادة ألق النباتات إلى دواخل البيوت، بدلا من الأزهار والنباتات البلاستيكية (هذا إن حضرت)، وإعادة الشرفات البيروتية إلى شيء ممّا كانت عليه سابقا، أي حاملة وإن لغضن أخضر واحد يسبّح لخالقه، وغالبا ما كانت في كل شرفة نبتة حبق أو شجرة ياسمين أو فل.

الفنانة تطمئن من خلال لوحاتها الآخرين، وتقول لهم في لين "ليس من الصعب الاعتناء بالنبات الأخضر ولا ريّ الأزهار. الصعب هو أن نعيش خارج الخُضرة الحيّة ودون رطوبة وعطر ما تمدّنا به من بركة وجمال".

ما زالت الألوان الزيتية هي ما تفضّل الفنانة استخدامه في لوحاتها عوضا عن مادة الأكريليك، وهذا مفهوم جدا بالنسبة إلى فنانة "مُلوّنة"، إذ تقدّم الألوان الزيتية، بالمقارنة مع مادة الأكريليك، أبعادا لم تزل إلى اليوم الأكثر غنى.

وفتاة بحمد من مواليد عام 1973 في قرية كفر ملكي بجنوب لبنان، استوحت عالمها الفني من محيطها سواء بيتها أو حديقته. وهي خريجة معهد الفنون الجميلة في بيروت وشاركت في العديد من المعارض الجماعية، أهمها المعرض الذي شاركت فيه مع الفنانة اللبنانية لوما رباح تحت عنوان "الألوان الحقّة".

> حدائق الفنانة الداخلية يتباهى فيها الضوء بتدرجاته متواطئا مع تبدل الألوان والظلال واختلاف الفصول الأربعة

وللفنانة خمسة معارض فردية، منها ما قدّمته في صالة "أكزود" البيروتية وصالة "آرت سبيس الحمرا" تحت عنوان "لغة ربيعية".

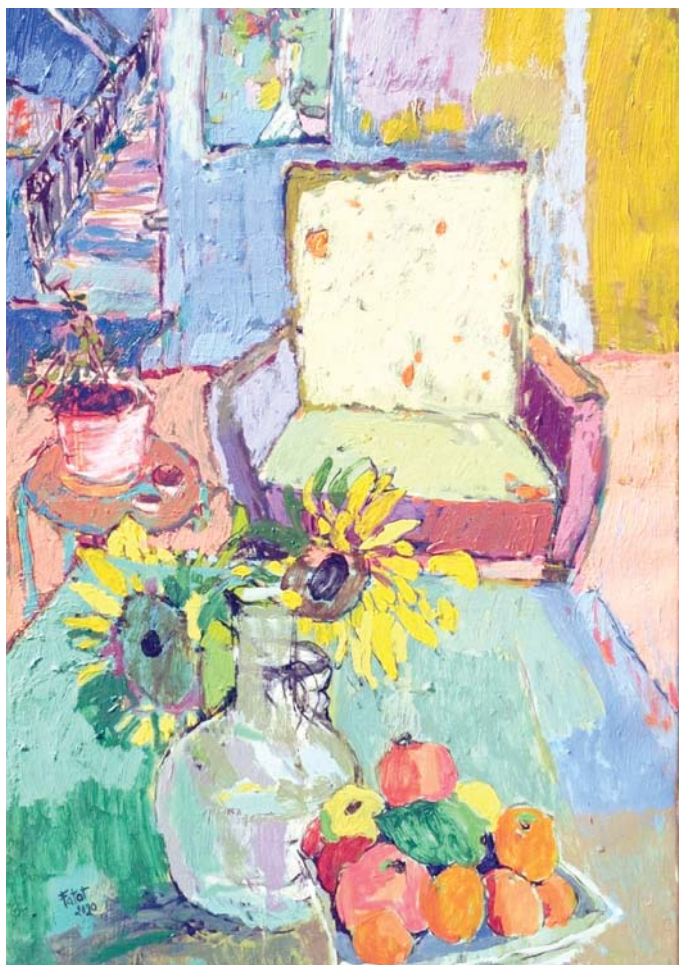

كراس تدعونا إلى الجلوس بسكينة وهدوء

الضوء يقيم جسرا سماويا بين اللوحة والناظر إليها

أعمال فتاة بحمد تتميّز على عكس الانطباعيين بألوانها غير المُتفجّرة رغم استخدامها ألوانا عالية النبرة وشديدة الاحتدام

«الرحلة».. معرض حنين ينقل المصريين إلى عوالم آدم حنين الفنية

رغم رحيله منذ عام تقريبا إلّا أن النحات آدم حنين ظل علامة فارقة في تاريخ الفن المصري والعربي بشكل عام. فهو الذي يعدّه النقاد وريثا معاصرا للفراعنة في نقوشهم على جدران المقابر والمعابد. ولأن الحنين إلى عوالم حنين الإبداعية لا يزال نضرا استذكرت مصر أعمال فنانها الراحل عبر معرض استعادي كبير أتى تحت عنوان "الرحلة".

القاهرة – بتنظيم من وزارة الثقافة وقطاع الفنون التشكيلية والإدارة المركزية لمراكز الفنون بمصر، يتواصل حتى أواخر شهر أبريل الجاري بمجمع الفنون (قصر عائشة فهمي) بالزمالك معرض استعادي كبير للنحات المصري الراحل آدم حنين، المعنون بـ"الرحلة".

ويأتي المعرض الاستعادي في إطار حرص وزارة الثقافة المصرية ممثلة في قطاع الفنون التشكيلية على تكريم رمز من رموز الفن المصري بعد رحيله العام الماضي تقديرا لمسيرته الإبداعية المديدة.

وعنه قال الفنان إيهاب اللبان مدير مجمع الفنون إن "الفنان آدم حنين كان فنانا استثنائيا شكّلت أعماله الفنية نقلة كبيرة في حركة الفن المصري ومنهجا فريدا أثار انتباه الفنانين والمتابعين، حيث تعدّ أعماله الفنية الآن مرجعا للفنانين والباحثين في مصر وخارجها".

ويقدّم المعرض مسيرة الفنان الرائدة منذ خمسينات القرن الماضي وحتى وفاته في الثاني والعشرين من مايو 2020 بمجموعة فريدة من أعماله التي تجاوزت المئة وخمسين عملا فنيا ما بين النحت والتصوير، تشكّل نماذج من إنتاجات الفنان بمراحلها المختلفة.

ووُلد صمويل هنري، وهو اسمه الحقيقي، في مدينة القاهرة لأسرة تعود جذورها إلى أسيوط (جنوبي مصر)، ونشأ في حي باب الشعرية. وكان في الثامنة من عمره عندما اكتشف "المتحف المصري للآثار" خلال زيارة مدرسية التي ألهمته أن يكون في مرحلة لاحقة نحاتا.

ومن هناك التحق بـ"كلية الفنون الجميلة" في القاهرة وتخرّج منها عام 1953، وسرعان ما أصبح معروفا بعد أن حصل على جائزة الأقصر عامي 1954 و1956، وبدأت تظهر أعماله بشكل متواتر في القاهرة والإسكندرية ثم في مدن أخرى من العالم.

وتتميّز أعمال حنين في غالبيتها بالتركيز على البيئة المحلية والتراث المصري القديم، وهو الذي تشبّعت عيناه منذ كان يافعا برؤية تلك المنحوتات الحجرية الضخمة لأجداده الفراعنة. وقد ظل على امتداد اشتغاله الفني الذي ناهز النصف قرن يتذكّر كل هذه التفاصيل، من ملمس الأحجار ورائحة المكان، وضآلة حجمه في مواجهة كتل الغرانيت والبازلت، وعيناه المفتوحتان بالدهشة التي لازمته طويلا وشكّلت علاقته بأعماله النحتية وتماثيله الاستثنائية. ومن هذه الزاوية ترسّخت علاقته بالفن المصري القديم كنوع من التواصل والامتداد الروحاني والعضوي عبر طريقة معالجته للشكل، ومن خلال اهتمامه بالوحدة العضوية للكتلة وعلاقتها بالفراغ، وفي ملمس الأحجار وانحناءاتها وفي التلخيص الذي يميّز جل مجسماته.

الاختزال والتجريد شملا حتى اللوحات

وراوح الراحل بين حسّ تبسيطي في معالجة الكتل والأحجام واستلهام حرية التعبير النحتي، كما اتسمت منحوتاته بالأشكال المجرّدة والأحجام الصافية وبديناميكية الحركة، وكانت تدور حول موضوعات قرصي الشمس والقمر ومفهوم الصعود.

وهو إلى ذلك يعدّ واحدا من أهم المساهمين في المشهد التشكيلي المصري، حيث أطلق عام 1996 "سمبوزيوم أسوان الدولي للنحت"، وهو حدث سنوي مستمر إلى اليوم، تحوّلت الأعمال التي نتجت عنه إلى حديقة نحت في الهواء الطلق ضمّت أعمال الفنانين الزائرين الذين شاركوا بأعمال مصنوعة من الغرانيت المحلي.

ويُعتبر تمثال أم كلثوم البرونزي أحد أبرز أعمال حنين النحتية، وفيه جسّد الراحل هيئة الجسد نفسها وانحناءات الثوب والمنديل في يدها مع الكثير من الإختزال والتجريد التام للعناصر المُشكلة للكتلة النحتية، إلاّ أنّ الناظر للتمثال يستطيع وبسهولة التعرّف على هيئة صاحبته من خلال إيحاءاته البارزة للعيان دون تكلّف.

ورغم تقدّمه في السن، أنتج الراحل خلال العقدين الأخيرين عددا من منحوتات الغرانيت الفريدة في مدينة أسوان التي اشتهرت منذ العصور القديمة بمحاجر الغرانيت، وظلت موضوعاته مرتبطة بالأمومة والطيور والقوارب والنهر، دون أن يتلاشى تأثّره الكبير بالأيقونات المصرية مثل الأهرامات والمسلات والتماثيل الفرعونية والجداريات الأثرية.

إيهاب اللبان

أعمال حنين تعد مرجعا للفنانين والباحثين في مصر وخارجها

وأُدرجت أعمال الراحل في المجموعات الفنية العربية الكبرى، ولا يكاد يخلو متحف عربي من أحد أعماله بما في ذلك "متحف الفن المصري الحديث" ومتحفه الخاص في قرية الحرانية الذي فيه منزله ومحترفه السابق. كما له مجسم بحديقة النحت الدولية بمدينة دالاس الأميركية وآخر بمبنى مؤسسة الأهرام بالقاهرة.

وإلى جوار النحت مارس حنين الرسم أيضا، وهو الذي كان يعترف أنه لجأ إلى ممارسة التصوير لكسر حالة الشغف بالتشكيل على الحجر من أجل الاستعداد لخوض مغامرة جديدة معه. وفي تعامله مع اللوحة لم يبتعد حنين كثيرا عن رؤيته في التعامل مع النحت، فخلافا للتجريد والاختزال اللذين ميّزا أعماله النحتية، اعتمد أيضا على مرجعية مرتبطة إلى حد كبير بالفن المصري القديم على مستوى التقنيات المُستخدمة في صوغ اللوحة، مثل اختياره لأوراق البردي كأسطح للرسم واعتماده على الأصباغ اللونية نفسها التي استخدمها الفنان المصري القديم في الرسم.

هكذا لخّص معرض "الرحلة" وفق سرد تاريخي كرونولوجي بعضا من تجربة حنين المديدة في النحت والرسم، وهي الرحلة التي قال عنها خالد سرور رئيس قطاع الفنون التشكيلية بمصر "رحلة يرويها هذا المعرض لكل رواد الفن في مصر وخارجها لفنان كبير حفر اسمه في ذاكرة الفن المصري كإحدى العلامات الفنية التي نفتخر بها دوما".